نشوء اللغات الإسلامية

هي في اللغات في كل عصر ومصر ان تتسع بما من به ان ما يورد من الالفاظ للتعبير عن الافكار الحديثة والمدنية والعلمية والتركيبة في مقابل من هذا القبيل . فالفت اولاً من اللغات السائرة ومن اوروبة من اللغات اوربا الحديثة ولا سيما من الفرنسوية كما اقتبست كثيرة وافرة من الالفاظ للاصطلاح عن الافكار التي ليس في عصب مايدل عليها فجعلت تلك الالفاظ الاعجمية فيها كثيرة كادت تأتي منه على مفردات تلك اللغات حتى انها قامت تزيد أن توجه الى اصولها وهذه الامة مدينون من اللغات الاسلامية للغات تعابيرها وعلمية ويستعينون بالفاظها يشتقون من مادة الاصلية في العربية والفارسية والتركية او الفاظاً كانت موجودة وتكتب اطلقت على معان جديدة .

ومن الضروري ان لا يذهبوا الشرقيون بان اللغات هذه اللغات اوربية يرجعون اليها من اصولها العميقة ويطرحون الالفاظ التي ليست غير مدلولين الى ذلك بالتعبيرات المتنوعة الى اوربية في اللغات الاسلامية . وهذا اشرك في الشروع بهذه اللغات الى اصولها الاولى الى رد الالفاظ الاوربية الى ما يقابلها في اللغة في فارس يستعيض الى بعض المعاني غربية وفي البلاد العربية كما هو في سائر البلاد التركية يحاولون نزع الالفاظ الى ربة الى ما يقابلها . ويحسن الاشارة الى ان هاتين الطريقتين فيهما من الالفاظ الاوربية والتعبير بين الالفاظ التي كان من تأثيرات اللغتين اوربة المعاصرين في ايران مع ذلك ما يجب ان رد فيها واستعمال الفاظ الى سليمة الشائع الروح التركية والفارسية وان كثر استعمالها وصارت او كادت من مادة اللغة الاصلية .

حرت اللغات الاسلامية كاللغات الاجنبية في انشائها الالفاظ من ثلاثة مختلفة وبابة فالفاظ يستعملون في اصل وجوه من الاشتقاق ليكون في مادتها اولاً بقصد عن افكار لا مادة لها في لغتهم الاصلية وقد مرت هذه الطريق الاولى التي تجري عليها في الاقطار الاسلامية . اعني بها ان اجزاء الكلم المكونة من المادة

١ اصبح لوسين بوا احد هؤلاء المستشرقين شروعاً في مجلة اللغة الاسلامية اليابانية وقد نقلها في قبلها الترجمة الفرنسية

واقل من ذلك انتقال الكلمات وفي الغالب انتقاس الحروف وبذلك لا يكاد يكون اثر لانتقاس الاصل ومن اللغات ما اذا نظرت فيه الى المفردات يمكن وصفه باللغات المختلطة وهي تماثل في البلاد التي عرفت بالجزر الخالدة ولاسيما في الموانئ البحرية مثل لغة البيدين في الشرق الاقصى وهي مزيج من اللغة الانكليزية والصينية ولغة الساحل مؤلفة من العربية والافرنسية والاسبانية والايطالية او اللغة الافرنجية وهي مجموعة من كلمات مختلفة من جميع لهجات البحر المتوسط من البلاد التي تمتد من سورية الى مراكش ولا بأس بالمثل بلغة الجالية من هذا الضرب من اللغات وان اصبح لها شهرة وكتاب شهد لها بعيد وكتابها لم تعد تحسب لغة عربية تكون صلة بين لغة مصر والمغرب بل هي الدارجة هي كغيرها من اللغات السامية مفردات ابتدائية وعبارة اصبح جانب في الاكثر وكتلتها الاساسية

وما عدا هذه اللغات المتركبة العربية الدارجة عرضاً فقد نشأت في البلاد الاسلامية التي تتكلم بها الاعاجم لغة ثانية وهي اللغة من لغات الفاتحين واصطلاحات دواوين الحكومة والمدارس العالية ويمكن ان نجد في دارات الحكومة العثمانية في الولايات كتبة يكتبون ويقرأون العربية بخط فارسي وهي طريقة الاكثرين ممن يعرفون العربية ويقرأون الصلاة بها وهي محفوظة من الخط الفارسي العربي كما يحفظ بعض الاعجام الى عربيتهم شيئاً

ولكن هذا لا يصح في البلاد التي اللغة الحكية كتابتها من لم يتعلموا . اما لغة الاوردو التي هي مختلطة الى الحد الذي جعلها تعد لغة قائمة بذاتها

---

١ أو هذه اللغة الفارسية العربية التي يتكلم بها الناس ان في الهند ما يعادل مثل لغة الأسرة البهلوية الفارسية في لغة فارسية عربية مثلاً بلغة عربية ومكتوبة بحروف عربية وفي لغة بهود فارس هم يستعمل اليهود العراقيون في الهند هذه الحروف ايضاً في الكتابة التركية وفي اللغة الفارسية ينظم والهنود اعتيادية كثير من الأمم والقوم يتكلمون التركية ولكنهم يكتبونها بحروف الهندية وهم اديبات الهندية تركية الاديبات البابانية تركية ذات مكان خاصة بها وهناك اللغة الكردستانية وهي تكتب المسيحيون بحروف سريانية أو النساطرة بالحروف العربية او العربية التي يكتبها اليهود بالحروف العبرانية.

عديدة في الاقتباس فبدأت بنقل اصالة الرأي في اوشذيلها قليلاً حتى توافق
التلفظ العربي وهذه هي الطريقة التي كانت تتبعها الامة العربية وعلى زمن كانت
هي المعول عليها في افكر الرموز عند العرب اصوات [illegible] السنين الاخيرة
فاللغة العربية الغنية بمفرداتها وبما من الاشتقاق [illegible] كثيرة قد [illegible]
منها من المفردات فاشتقت منها وكذلك [illegible] كانت لا تفي بعض
الاحيان عن الالفاظ العربية . اما التركية التي [illegible] الاخيرة فقد
احدثت بادئ بدء من العربية والفارسية وفي تحاول [illegible] الاكتفاء
باستعمال اللغات التركية القديمة التي كادت تزول .

مالي المؤلفات التي عرضت للغات الاسلامية من اللغات الاجنبية ان اقدم
الصور العربية التي اثبتت لها في الاسفار التي وردت الى الاسلام والقرآن نفسه لا يخلو
من بعض الالفاظ الاعجمية . وقد بذل العلماء من العرب والعرب كلفة عظيمة
لاحداث العربية من اللغة الغريبة او بعض الالفاظ من الفاظ القرآن العربية في
العربية اريق وحيل . واسس اللغة الآرامية اللغة العبرية بعض الفاظ ايضاً من
نحو اصول هاتين اللغتين والتباسهما [illegible] في تركيبها فرحاك الاخذ منها سهلاً
للغاية . وكذلك الحال في اللغة العربية فانها استعارت بعض الالفاظ واكثرها
من اللغتين العبرية والفارسية من نحو ٤٠٠ لفظ وانتقلت منها الى العربية ووردت بعد
القرآن عن طريق الفارسية

ولقد نشأت في فارس لغة صابئية وانتهى بها البداوة واستعملت الخط السامي
واستعارت عن المفردات الآرامية بجهود ملحوظ من المفردات الآرامية والعبرية
يجمع بين الحرف المتين ولكن الفئة الباقية من هذه اللغة ليست غير مئات كثيرة
يشهد العرب الى زمن الفتح العربي . ولا حاجة الى ذكر اصحاب اللغة الايرانية
من التبدل بالفتح فقد بدت الخاصة الجهود الخالصة كلية دينية وادبية . واستعملت فارس
في كتابتها الخط العربي .

اما الآثار الباقية اليوم بقيت اعداداً كثيرة من جيرانهم قبل ان يدينوا بالاسلام
هذا اذا استثنينا منهم الفرس . ورغماً احطوا [illegible] بعض الالفاظ من الصينية والهند حتى
اذا اعتنقوا الاسلام كثرت في لغتهم الكلمات العربية والفارسية . وترى العربية الى عهد

ظهور الاسلام تتلمس من الفارسية والسنسكرية والآرامية عصوراً واليونانية ورومية الاقتباس وارتقاء ملحوظاً في عهد خلفاء الامويين والعباسيين . وظلت اللغات الفارسية والسريانية والرومية تحتل الاقطار لغات الادارة في المملكة العربية ولا عجب بعد ثم ان ادخلت الى لغات الفاتحين عدداً كبيراً من الالفاظ العلمية . وكان من درس فلاسفة يونان وراجعهم وكتاويهم وشروحهم ان حولت الى العربية من اليونانية اصطلاحات عدة

وفي الحروب الصليبية دخلت الى اللغة العربية الفاظ عدة افرنسية ذات الاصوات التي تختلف بها المشرق وكل ما اخذته هو من الالفاظ بمحدود معدود ولم تدخل على اللغة العربية الاصلية العربية الا في القرون الاخيرة لما ارتاد الاوربيون في آسيا وافريقية . اما تأثير اللغات الاوربية في العربية فلم يكن شيء الى القرن الاخير وهو اقل من ذلك في الفارسية بالنظر لعدد الطارق .

وقد اراد الآن ان ابحث في تأثير كل لغة اوربية في اللغات الاسلامية منذ زمن النهضة فليقرر بيانا ان الرابطة الافرنسية كبيرة جداً وقد بقي تأثيرها في جميع العالم الاسلامي في البحر المتوسط وآسيا الصغرى ولكن اوربا الشرقية قريبة حديثة العهد بالمخالطة الواعث اليها الاصلاحات التي حدثت في ايام السلطان محمود وتعليم محمد علي لمصر على طرق الغربيين وما زال كثير من ابنائهم في مصر سنة ١٧٩٨ م الخ الخ الصلات التي نشأت بين الروسيا وفارس وقد بدئ بها في اوائل القرن التاسع عشر في ايام بعثة جورد الى فارس ثم اعيدت بعد سنين . تدفق السلمون في القرن الماضي وما بعده الى فارس لعلم الآداب الافرنسية والاطلاع على الافكار الافرنسية

واما تأثير بعض اللغات في اللغة في المشرق غير بعيد لا يتجاوز القرن الواحد وهو قوي للغاية على الرغم من تقلص ظل سيطرتها من الممالك العثمانية بدءاً من اواسط القرن الماضي فقل تعاطي الكتب في مصر وغيرها من فارس فانه قد ازداد اقبالاً في تلك البلاد التي لم يبق فيها واثنك الشعوب الذين لم تكن لهم مشاركة في الامور السياسية والاقتصادية شيئاً من لغاتهم الا القليل الذي لا يؤبه له ولا شيء ان تأثير اللغة الافرنسية قد استحكم في اللغات التركية في روسيا وكل لا مشاحة في دخول الفاظ من الافرنسية واسطة اللغة الروسية او اللغة التركية العثمانية

اما تأثير اللغة الانكليزية فضعيف وهو مقصور على الصحافة العربية في مصر والصحافة الفارسية في الهند (بقطع النظر عن اللغة الهندستانية وسائر لغات الهند الوطنية) التي تعمد كل حين الى استعمال كمية من الالفاظ الفرنسوية وليس للانكليزية في فارس ولا في تركيا تأثير يذكر الا ما كان من بعض التعابير العلمية والبحرية واكثرها في السباق وانواع الارتياض .

وبعد ذلك فان تأثير اللغة الايطالية قديم جدًا فهو يرد الى الزمن الذي كانت فيه البندقية دولة بحرية قوية في البحر المتوسط وما زالت اللغة التركية العثمانية منذ ذاك العهد تأخذ عن اللغة الايطالية جملة من الالفاظ لا اظن منها فاظ (مثل الفاظ الملاحة والتجارة والصناعة وغيرها) الا كان شائعة في الاستعمال وكان لغة العثمانيين ان تكتفي بما تستعيره من جاراتها مثل اللغة « فاماليا » التي تجلى فيها البهجة البندقية كل التجلي وكذلك كان من اللغة الصقلية ان جعلت مكانًا مغفلًا في نحو ما رأيناه آنفًا في ان جزءًا من القرنات الملكية مأخوذ منها . ودخل في اللغة في تونس كثير من الالفاظ الايطالية وقد لاحظ احد المؤرخين ان هذه الالفاظ لا تستعمل الا في الكلام الدارج اما اللغة الكتابية فمنفصلة عنها وتأبى لا تستعملها . وفي مصر ترى بعض الالفاظ الايطالية والظاهر ان بعضها سرت اليها بواسطة اللغة التركية مثل لفظة مبغورة (القنبلة اليدوية) وتأمين .

واللغة اليونانية الحديثة ادخلت كالايطالية في اللغة التركية العثمانية الفاظًا كثيرة فان ما وصل الينا من النصوص الندية يبين ان تاريخ الصلة بينهما يرد الى ما قبل القرن الخامس عشر وفيها الندي « العربة » التي ذكر المسيو جان بسيشاري تاريخها وما تقلب عليها من التبدل الغريب في الصورة والمعنى هي من جملة تلك الالفاظ

وفي لغة عرب المغرب جملة من الالفاظ ومنها ما هو من اصل اسباني وهي مأنوسة الاستعمال في مراكش فقد كان للبرتغاليين اثر كبير في هذه البلاد فكيف يتأتى ان لا يتركوا فيها شيئًا من لغتهم وقد كانت المناسبة قوية بين الاسبانية والبرتغالية وكان سكان مراكش يحرفون ما يتسمونه عن الاوربيين من الالفاظ فمن الصعب ان يميز في هذه الاقتباسات ما سرى الى تلك اللغة من اللغة البرتغالية خاصة

ولقد كانت الالفاظ الالمانية التي سرت الى الشرق قليلة جدًا وقال بعضهم ان لفظة عروس التركية مأخوذة من عروس الالمانية ولكن بعد البحث الدقيق في المعجم

العثمانيين تحت ادارة يسيرة الى تركيا الا اقل جزء من المؤثرات الجرمانية

وهذا نقل الى اللغات الصقلبية والسلافية اكثر من ثلث الكلمات التي نقلت الى التركية عدداً جزيلاً من الالفاظ العربية بواسطة الالفاظ العسكرية والتي من هذه الالفاظ المتعددة في تخطيط الميدان . والالفاظ الدينية اكثر من سبعين والكلمات منصورة الى اللغات المتركية في الاردو والفارسية والفلبينية وأما الرسمي فهي لم تعد تلك القوة والالفاظ الرومية في بلاد اللغة الايرانية بدرجة ثانية . ويجب ان لا يغرب عن بالنا ان الكلمات التي تدل على الاشياء من اصل الرسوم او الاخلاق دون ان تكون في الغرب من الكلمات العلمية البحتة يطلق ايضاً الى اللغات الاوربية والاسيوية والافريقية من الجهات المختلفة في البلاد التي يتكلم فيها بالتركية لم يؤثر الا قليلاً جداً بهذه اللغة

وهذا قليل في تأثير اللغة التركية في فارس حيث تملك اليوم أسبغ فاعلية فانها كثيراً من الثنايا والمعاني الخاصة مأخوذة من التركية مثل الاعضاء والالقاب الشرفية واسماء المناصب والرتب . وقد تسلل من اللغة التركية في معظم انحاء الشرق اسماء الرتب العسكرية التي وجدت ان الالوية العثمانية بعد الانكشارية يدخل في اسماء الرتب من التعاويل الاعجمية عند انتظار الرتب . وترى في قواميس الشرق الحديثة جميع هذه الالفاظ مشروحة بالتفصيل وبعد اللغة العربية تركيا اكثر جمعية في تونس وفي الجزائر حيث انت الحكومة الفرنسوية رسمياً نقل بعض الالفاظ التي استعربها العثمانيون مثل الدولة التي تدل وجوده وبقاء دولة وبعدها لغة البحر التي صارت بعض الفاظها الى اللغة الفرنسية

اما اللغة المستعملة فاول ما تقابل منها الالفاظ الدالة على الفارسية اما اللغات الشرقية الاخرى فلا تعتبر بجانب الالفاظ العربية والفارسية والتركية الا قليلاً جداً

وها نحن ابدأ الآن بالكلام على كل واحدة من اللغات الاسلامية الثلاث المستخلصة العربية . اقدم بالفاظه التي دخلت في الاسماء اعلام الاشخاص اما الفاظ عن اللغات السامية كالسريانية والعبرانية والحبشية والبربرية . وجعل العثمانيون الى العربية بعض الالفاظ القديمة نقلاً لما يعانده بعضهم ويعلم بها الالفاظ في لزوم المؤرخين وكثيراً ما تشير الى اللغة التركية والى اللغة المكتوبة في الاشكال العربية

استعمالهم لفظة « ترم » بمعنى المدفوع وجمعهم له على تروم كما في تاريخ ابي شامة ولكنه من الصعب ان نرى هذه اللفظة في كلام آخر . واخذت العربية من الافرنج بعض الالقاب النصرانية مدنية كانت او دينية مثل قومس (كونت) وكاغكوس او كاثوغيكوس (بطريرك) وبعض التعابير الحربية والفاظ المائدة التي هي لسان شعب خاضع للحكم المسيحي ومتدين بدينه قد اقتبست بالطبع من اللغات الغربية اموراً كثيرة

ولم يبدأ دخول الالفاظ الاجنبية ولاسيما الافرنسية على العربية الا في اوائل القرن التاسع عشر وكانت بكثرة حتى ان القائلين بتطهير اللغة من الدخيل قد دهشوا لها . ثم ان دخول تعابير افرنسية كثيرة الى اللغة الرسمية اي التركية في سورية ومصر قد نشأ منه اثر في اللغة الوطنية وازدياد صلات الشرق مع الغرب ودخول الافكار الفرنسوية وتأييد الحكم الفرنسوي على الجزائر وتونس ولا سيما انشاء صحافة عربية حذا فيها اهلها حذو الصحافة الاوربية كل ذلك ما دعا الى تحول اللغة

وذلك ان الصحافة هي التي احدثت اللغة العربية الحديثة في الجملة وهي تختلف عن لغة القرآن كما تختلف لغة الروماييك عن اللغة الرومية القديمة هكذا قال المسيو وانتون سرويس الملحق بقنصلاتو البلجيك في بيروت منذ ثلاث عشرة سنة في مقدمة كتاب مهم الغاية وضعه في وصف هذه اللغة الحديثة وعلى ما فيه من الاغلاط والنقص القليل فان هذا الكتاب الذي لم يؤلف على مثاله ندعه ينفع كثيراً وهو عبارة عن مقدمة عرض فيها المؤلف هذه المسألة على وجه جلي مفصل مشفوعاً بقائمة للصحف التي كانت تنشر اذ ذاك مع تاريخ انشائها وهي قائمة ثمينة وان كانت فهارس الرجوع اليها مختصرة وبعض الانموذجات من كلامها تأليفاً كانت او ترجمة تأتي فيه اولاً على الجرائد ثم على المواد الرسمية ثم على معجم لغوي مفيد وهو وحده يفسر الكلمات المولدة

ومن رأي المؤلف ان اللغة الحديثة قد تمت في غضون خمسين سنة بسرعة هائلة وهذا النشوء يظهر خاصة من نشوء العربية المحكية او المكتوبة قبل ظهور الجرائد فقد كانوا يكتفون بان يأخذوا عن اللغات الاجنبية بعض المفردات الدخيلة اللازمة لهم من دون ان يعدلوا صورتها التعديل اللازم لها في الظاهر . (البحث صلة)